السماع ____ من تقاليد خانقاه

مشتاق احمد☆

Abstract:

"To be affected by the melodious and beautiful voices, is in the nature and psychology of the human beings. And if a nice poetry is sung with nice voice, then the change of the status of human's heart is sure. Due to the said psychological aspect of human, the saints of Chishtia Order made Sama (*Qawwali*) as the source to convey the message of Islam to the people of the Sub-continent. Thus, Sama introduced as a tradition of shrines(*Khanqah*) for preaching of Islam in the Sub-continent. Hindus used to participated in the congregations of Sama due to having spiritual attachment with music and were influenced by the Islamic Poetry which was sung in Sama(*Qawwali*)and embraced Islam. The opinions of different ancestral Saints about Sama, are described in this research paper. It is also analyzed that the tradition of Sama (*Qawwali*) in the current era has no harmony with the real Sama which was set by the early saints. All the conditions and requirements of that Sama have been entirely ignored in the current Sama. So, this shape of Sama has failed to gain the objectives."

" ا للحن الداودى" ليس مثلا من الأمثال فقط بل هو حقيقة مسلمة ، و بهذا يقد ر أن للصوت الجميل والكلام الحسن وقعا و تاثيرا كبيرًا فى قلب الإنسان۔ فكما أن الصوت المتألم للنائح يحزن قلوب السامعين و يبكيهم كذلك ترنيمة الأم بالعطف و الحنان تورث طمأنينة القلب و سكينته۔

☆ الرُكن للتحقيق،مركز معارف الأولياء مصلحة الأوقاف بنجاب،لاهور

فی یوم من الأیام ذهب أبو النصر الفارابی[۱] الّذی کان منقطع النظیر و عبقریّ زمانه فی العلم و الحکمة ، إلی حفلة الخلیفة فلم یعرفه أحد لرثاثته و بؤسه، فأخذ هناك یزمر مزمارا حتی ضحك أهل النادی قهقهة، ثم زمر حتی جعلوا یبکون، ثم زمر حتی أنهم أصیبوا بإغماء ة ، فلما راهم فاقدی الرشد و الوعی کتب فی ناحیة " فاراب قد حضر ههنا ، غاب " و ذهب فلما أفاقوا و رأوا هذا النص تحیروا و عجبوا من حضور فاراب فی تلك الحفلة۔ [۲]

"التأثر بالکلام الحسن و الصوت الجمیل مما جبل علیه الإنسان ، یقول سلطان المشایخ الشیخ نظام الدین الأولیاء : کل کلام حسن یسمع و یلتذذ بسماعه اذا أنشد بلحن جمیل یزداد لذة و سرورًا۔"[۳]

ان کان الکلام حسنا و غنّی بصوت جمیل فلا جرم أن قلب الإنسان و ذهنه یتأثر منه و ینفعل فحصول اللذة و السرور بأسلوب حسن و لحن جمیل أمر محتّم ۔

ان عباد اللّٰه المصطفین لم یقصروا علی حسن سیرتهم و عذوبة ایرادهم بل إنهم بذلوا قصاری جهودهم لنشر رسالات الإسلام و تعالیمه و اجتهدوا جهدا متواصلا لإمالة قلوب الناس إلی دین الإسلام بکل ما أمکن و تیسر لهم ، و لا سیما ان مشایخ السلسلة الجشتیة جعلوا السما ع و الألحان وسیلة التصریح عما فی قلوبهم وانهم سخروا قلوب سکان شبه القارة و أمالوها إلی دین الإسلام و بدلوا طریق حیاتهم ۔

إن سکان شبه القارة کانوا مولعین بالألحان و المعازف من قبل، و لا سیما الهنود فان الموسیقی یعد أساسا لمذهبهم ، و لذا غیَّر المشایخ الجشتیون أسلوب الموسیقی الهندی و جعلوه وسیلة لإذاعة التعالیم الاسلامیة و نشر رسالات الاسلام۔

و إن أهل الهند علی اختلاف دیاناتهم کانوا یحضرون فی حفلات السما ع زمرا و یعدون هذا الحضور یمنا و برکة و سعادة لهم و یتأثرون بما ینشد فی هذه المجالس و کانت أفکارهم تتغیرو یدعون ما کانوا ینحتون ویَدْعون اللّٰه احسن الخالقین۔ یقول الدکتور جهانکیر التمیمی:

"إن الصوفیة الکرام سخنوا القلوب بتجمع الکلام الصوفی و الحناجر النورانیة و الألحان العذبة و تواجدها المتوازن، فباجتهاد الموسیقی أحدثوا التطور فی الفکر و النظر ، و بالسما ع کشفوا حقائق طارئة

العشق المحیط لا فی بدن الانسان و قالبه فقط بل فی قلبه و باطنه، و بنار العشق المسعرة خربوا دیار المبطلین و أحرقوها۔"(۴)

إن شیخ شیوخ الجشتیة معین الحق و الدین السید معین الدین الجشتی الأجمیری رحمه اللّٰه تعالٰی هو سید الطائفة و رئیس القافلة و له دور فعال فی تحویل شبه القارة من دار الأصنام إلی دار الإسلام و تنویرها بضوء دین الاسلام ۔ إنه رحمه اللّٰه تعالٰی لم یألُ جهدا فی تبلیغ الدین القویم ، ونشر الدین المتین فی الهند، أسعد الکفار بالسماع بالإضافة إلی التبلیغ باللسان، و کان له شغف بالسماع و فی أثناء السماع کانت تعتریه حالة غیر عادیة، و کان یحضر معه فی الحفلة کبار العلماء و المشایخ ، قال رحمه اللّٰه تعالٰی عن السماع:" إنه وسیلة لدرك الأسرار و معرفتها ۔"(۵)

إن الشیخ قطب الدین بختیار کاکی خلیفة لسیدنا الشیخ معین الدین الجشتی رحمهما اللّٰه تعالٰی رحمة واسعة وکان مولعا بالسماع حتی إنه رحمه اللّٰه تعالٰی توفی فی حفلة السماع۔فی فوائد الفواد : أنه کان فی زاویة الشیخ علی السجزی علیه الرحمة حفلة السماع و کان الشیخ قطب الدین بختیار کاکی رحمه اللّٰه هناك۔ان القوال غنی قصیدة فلما وصل إلی هذا الشعر :

کشتگانِ خنجر تسلیم را
هر زمان از غیب جانِ دیگر است

(اّلذین قتلوا بسیف التسلیم و الرضا ، لهم حیاة جدیدة من الغیب فی کل لحظة و ان)

أخذ به هذا البیت ، و عند ما و لی إلی بیته من زاویة الشیخ علی السجزی رحمه اللّٰه تعالٰی کان مذعورا متحیرا، و یقول مرة بعد مرة أنشدوا هذا الشعر، فینشد أمامه، فما زال مذهولاً ، غیر أنه کان یتوضأ فی وقت الصلٰوة و یؤدی المکتوبة، و لم یزل کذلك إلی أربعة أیام و فی اللیلة الخامسة۲۷دیسمبر ۱۳۳۵ء(۶)توفی رحمه اللّٰه تعالٰی۔(۷)

إن شیخ الإسلام الشیخ فرید الدین کنج شکر ، خلیفة الشیخ قطب الدین بختیار کاکی و مرشد الشیخ نظام الدین الاولیاء رحمهم الله تعالٰی أیضاً کان مشغوفا بالسماع، و فی أثناء السماع کان یمرح ، و فی بعض الأحیان کان یتمایل باستماع کلام غیر منظوم و قراءته ۔

ما هو أهمیة السماع و قدره عنده؟ یعلم هذا بکلماته المبارکة حیث یقول:

"اَلسَّمَاعُ یُحَرِّكُ قُلُوْبَ الْمُسْتَمِعِیْنَ وَ یُوْ قِدُ نَارَ الشَّوْقِ فِی صُدُوْرِ

الْمُشْتَاقِيْنَ"(۸)

إن الشيخ بدر الدين الغزنوى رحمه الله تعالٰى سأل شيخ الإسلام فريد الدين كنج شكررحمه اللّٰه تعالٰى و هو يحاوره عن السماع :لما ذا يصاب أهل السماع بإغماء ة ؟فأجاب:أنهم منذ أد ركتهم الغشية باستماع" اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ط"(۹) أشربوا فى قلوبهم الإغماء ة، فكلما يستمعون صوتا جميلًا يغمى عليهم ـ(۱۰)

إن الشيخ فريد الدين كنج شكررحمه الله تعالٰى كان يطرأ عليه الطرب خلال السماع و يكون مغلوب الحال، يقول سلطان المشائخ و هو يحكى عن كيفية شيخه :يوما كان الشيخ فريد الدين رحمه اللّٰه تعالٰى جالسا فى غرفته مكشوف الرأس متغير اللون و هو ينشد:

خوا هم كه هميشه در رضائے تو زيم خاكے شوم و بزير پائے توزيم
مقصودِ من خسته ز كونين توئى از بهرِ تو ميرم و برائے تو زيم

(أتمنى أن أعيش فى رضاك أبدا ، و أكون ترابا و أحي تحت قدمك۔۔۔ أنت مقصود رقيق الحال فى الكونين ، لأجلك أموت و أحيى)

سجد الشيخ رحمه اللّٰه تعالٰى فى حضرة اللّٰه تعالٰى بعد ما أنشد هذه الأبيات، و لما فعل كذلك مرارًا دخلت فى حجرته و وضعت رأسى على قدميه، قال الشيخ :ما ذا تريد؟ فطلبت منه بعض الشؤون الدينية و الدنيوية فأعطانى ، و بعد ذلك تأسفت على أنى لم أتمن الموت فى حفلة السماع۔۔! (۱۱)

يقول الشيخ الكبير فريد الدين كنج شكر عليه الرحمة و هو يبين حالة الاستغراق فى حالة السماع: أهل السماع هم الذين لو ضربوا فى حال التحير و الاستغراق بألوف من السيوف لم ينتبهوا له ، إذا كان للإنسان شغف بحب الحبيب يذهل عن الدنيا و ما فيها و لا يدرى من أ تى و من ذهب و لا يعلم ما جرٰى ـ

يقول سلطان الأولياء سيدنا الشيخ على الهجويرى رحمه اللّٰه تعالٰى عن السماع فى كتابه الشهير" كشف المحجوب " :

"يروى فى أحاديث صحيحة أن أهل الجنة يتنعمون بالسماع لانه يصدر من كل شجرة صوت مختلف عن الآخر و نغمة مختلفة أيضا فاذا اجتمعت تلك الأصوات طربت الحواس و قد اشترك فى هذا النوع من السماع جميع المخلوقات الحية ، لأن الروح معنى لطيف

تنجذب لأمثالها من الأصوات اللطيفة۔[۱۲]

كان الشيخ نظام الدين الأولياء عليه الرحمه يتنعم بالسماع مقتفيا بأ ثر مرشده و مشايخه ، و فی خلال السماع يكون مغلوب الحال ، و بتاثيره تدمع عيناه ۔ إنه رحمه اللّٰه تعالٰی أطلع الناس علی أسرار السماع و أزال الأوهام من قلوب منكری السماع و معاديه۔

بيّن مؤلف " فوائد الفواد " امير حسن علاء السجزی أمامه ذوقه و كيفيته عن السماع، فأجاب رحمه اللّٰه تعالٰی :هكذا يكون ذوق أصحاب الطريقة و أهل الشوق أن السماع يوقد فی قلوبهم نار الشوق و إلا فأين البقاء وأنّٰی يكون الذوق فی البقاء ۔۔۔[۱۳]

انحصار حسن الفعل و قبحه علی استخدامه ، فنية اداء العمل و غرضه يكون سببا لحسنه أو رذالته و يضاهئ هذا رأی الشيخ نظام الدين الأولياء رحمه اللّٰه تعالٰی عن السماع أنه إن قصد به تنوير القلب بحب اللّٰه و رسوله صلی اللّٰه تعالٰی عليه وسلم أو المرشد يجوز و إلا فلا۔ يقول سلطان المشايخ رحمه اللّٰه تعالٰی : إن السماع علی أربعة أنواع :حلال و حرام و مكروه و مباح ۔ إن كان للسامع زيادة رغبة إلی الحق فالسماع مباح له ، و إن كان أكثر ميوله و رغبته إلی المجاز يكره له السماع لكن إذا كان ميول قلبه بشرا شره إلی المجاز فالسماع حرام له ، و إذا كان رغبة طبعه بتمامه إلی اللّٰه تعالٰی فالسماع حلال له، فللسامع أن يعرف الحلال من الحرام و المكروه من المباح۔[۱۴]

يقول الشيخ المحبوب الإلٰهی رحمه اللّٰه أيضًا عن حلة السماع و حرمته:

> " السماع هو صوت مستحسن ملائم ، فكيف يحرم؟ و ما يقرأ و يغنی فی السماع كلام جدير للفهم و مؤهل له، فكيف يحرم؟ ثم إن السماع يحرك القلب ، إن كان هذا التحريك لذكر الحق فهو مستحب و إن كان ميوله إلی الفساد فحرام۔"[۱۵]

قال سيّد الأصفياء الشيخ علی بن عثمان الهجويری عند ما سئل عن جواز السماع :حكمه علی أنحاء لا ينحصر فی صورة واحدة، إن كان فی القلب تأثير الحلال فحلال و إن كان تاثير الحرام فحرام و إن كان تاثير المباح فمباح۔[۱۶]

يقول الشيخ المحبوب الإلٰهی أيضا عن حالة ناشئة خلال السماع :من كان أهل الذوق و فيه ألم ووجع إذا سمع شعرا من مغن تدركه رقة، كان معه معزف و مزمار

أو لم یکن، و من کان عاریا عن الذوق إذا أنشد أمامه شعر بأی أسلوب و لو مع المعازف و المزامیر، لا ینفعل إن کان ذاهلا عن الألم، فثبت أن هذه الکیفیة تتعلق بالألم لا بالمعازف و المزامیر ، ثم قال عن أهل السماع أنّی لهم الحضور کل یوم۔ (۱۷)

انما یجوز السماع إذا کان الکلام المقروء أو المغنی صحیح المعنی و لا یکون مبهما و یفهمه المستمعون بیسر و سهولة ، و أیضا یجب أن یحمل ذلك الکلام المغنّی علی حمد اللّٰه تعالٰی و مدح رسوله صلی اللّٰه تعالٰی علیه وسلم أو وصف مرشده۔ و یکون المقصود من السماع أن یزداد رغبة إلی اللّٰه تعالٰی ۔ إن الشیخ نظام الدین رحمه اللّٰه نفسه هکذا کان یضاعف حب اللّٰه تعالٰی و رسوله علیه الصلٰوة والسلام و مرشده الکریم۔یقول رحمه اللّٰه تعالٰی :مرة أنشد القوال خلال السماع :

مخرام بدیں صفت مبادا کز چشم بدت رسد گزندے

(لا تمش کذا مخافة أن تصیبك عین)

فتذکرت بسماع هذا الشعر أخلاق الشیخ فرید الدین رحمه اللّٰه تعالٰی و أوصافه المقبولة و غایة شرفه و لطفه و أدرکتنی رقة لا أستطیع أن أعبر عنها ، و انفعلت و تأثرت حتی جرت الدموع من عینی۔(۱۸)

کان سلطان المشایخ رحمه اللّٰه تعالٰی یقول:

"ینبغی أن یحمل " زلف " (جمة) علی قرب اللّٰه تعالٰی و لیتصور باستماع هذا اللفظ قول اللّٰه تعالٰی:" " لِيُقَرِّبُوْنَآ اِلَى اللّٰهِ زُلْفٰى ؕ "(۱۹)۔ و یراد بلفظة " نون" الجنة ۔ و بلفظة " چشم" (العین) نظر رحمة اللّٰه تعالٰی ، فقد ورد فی القرآن المجید :" وَلِتُصْنَعَ عَلٰى عَيْنِيْ ۝ "(۲۰) و قال :إن الشعراء یعبرون الجمة بالکافر، لأن الکافر بمعنی الستر، و جمة المحبوب تستر شامة خده۔ (۲۱)

الوجد فی السماع

یقول الحکماء :الوجد لطیفة قلبیة لا یمکن تعبیرها بالألفاظ، إذا وردت یظهر الفرح و السرور فی القلب و الجوارح تتحرك و تهتز بنفسها۔ (۲۲)

خلال السماع یطرء علی الإنسان النشوة و الطرب و الوجد و یکون فی حالة الاستغراق و یذهل عن نفسه و عن الدنیا و ما فیها، فإن کان بحر العشق الحقیقی یتلاطم فی قلبه تستمر هذه الحالة إلی أیام و یستغنی عن مستلزمات الحیاة۔

یتحدث مؤلف " فوائد الفواد "عن مجلسه مع الشیخ نظام الدین الأولیاء الذی بوحث فیه عن الوجد الناشئ خلال السماع ، قال رحمه اللّٰه تعالٰی:

" یذکر تسعة و تسعون اسما للّٰه تعالٰی ، منها الواجد الماجد ، والواجد له معنیان ، الغنی و الوجد أی معطی الوجد ، کما أن من أسماء اللّٰه تعالٰی الشکور ، و هو الّذی یشکر، لکن المراد منه قابل شکر العباد۔کذلك معنی الواجد صاحب الوجد و لکن هذا لا یلیق بشانه تعالٰی ، فیراد منه معطی الوجد۔(۲۳)

یقول العلامة عبدالکریم هوازن القشیری فی الرسالة القشیریة عن الوجد:

" الوجد ما یصادف قلبك و یرد علیك بلا تعمدو تکلف ولهذا قال من الصوفیة الوجد المصادفة والمواجید جمع وجد علی غیر قیاس ثمرات الاوراد۔ای مترتبةعلیها بواسطة المنازلات کما سیأتی تفضلا لابألاکتساب فکل من ازدادت وظائفه من الاوراد۔"(۲۴)

الوجد کیفیة تعترض فجأة ، و هذا نتاج الأوراد و الوظائف ، کما أن الإنسان یتلذذ بالجهد و الکدح فی العبادات کذ لك یحس بالوجد من الأحوال الباطنیة التی تنزل علی قلبه۔الوجد من ثمار الألطاف الإلٰهیة۔ سئل الشیخ رویم علیه الرحمة عن الوجد الطارئ خلال السماع فأجاب: إنهم یشاهدون الکیفیات التی تخفی علی من سواهم ، و تشیر هذه الکیفیات إلیهم أن تعالوا، تعالوا فیتمتعون من غایة الفرح و الابتهاج ، ثم إن الحجاب یزیل هذه المسرة و ینقلب هذا الفرح إلی البکاء ، فمنهم من یمزق ثیابه و منهم من یصیح و یصرخ ، و منهم من یبکی ، فکل واحد یواجه هذه الکیفیة حسب حالة و مرتبته۔(۲۵)

یقول شیخ مشایخ السلسلة القادریة سیدنا الشیخ عبدالقادر الجیلانی رضی اللّٰه عنه فی کتابه "غنیة الطالبین" عن السماع و الوجد :

"لا یتصنع فی السماع ، ولا یتکلف فی الوجد ، إن تیسر السماع فعلی السامع أن یجلس مؤدبا و یذکر اللّٰه تعالٰی فی قلبه ۔"(۲۶)

قال الشیخ سراج الطوسی رحمه الله تعالی(مُ ﷺ) عن الوجد فی "کتاب اللمع" :

"إذا تکامل العلم فلا حرج فی قلة الوجد، إنما الخسران إذا نقص العلم و یهتم بالوجد۔"(۲۷)

قال سلطان المشایخ رحمه اللّٰه تعالٰی عن الوجد و أهله :

''من الناس من یکون مغلوبًا و ذاهلا فی السماع حتی لوسمر فی رجله مسمار الحدید لا یشعر، ومنهم من یکون شاهدًا و حاضرا مع اللّٰه تعالٰی حتی لو کان تحت قدمه و ریقة الزهر یشعر و یحس به من فوره ، هذه درجة الکاملین یتحصل علیها من بلغ أقصی النهایات فی هذا الطریق۔''(۲۸)

الموسیقی یقبض علی الحال و المقام و یوقف الأوان الماضیة فیحار الفهم و یتحیر العقل و الوقت یسکن، هذه النشوة و الطرب التی تکشف سبل المعرفة بعد التحیر۔ ففی حالة الوجد هذه تنشأ فی الجسد الحرقة و الحرکة بالسماع۔ و بتجمع الجذب و الإظهار یظهر السرور و الرقص و الوجد۔(۲۹)یقول سلطان المشایخ عن الوجد فی السماع :

''من یرقص و یتحرك و یمزق ثیابه فی السماع ، إن کان مغلوب الحال فلا باس ولا حرج ، و لکن الذی یرائی و یظهر أنه درویش و یتکلف فی الرقص و الحرکة فإنه یؤاخذ ، لأن هذا حرام۔۔۔إن الدرویش إذا حرك یده فی السماع تتساقط الشهوة من یده و إذا رکض برجله تتساقط شهوة قدمه و إذا هتف تنحط الشهوة من باطنه ۔(۳۰)

إنما تنشأ هذه الکیفیة فی السماع إذا أثر الکلام فی القلب ، و فی خلال السماع تحریك الجوارح و إظهار أن طرأ الوجد ، ریاء و سمعة لا یجدی شیئًا۔

مجلس المناقشة (المناظرة)

إن مشایخ السلسلة الجشتیة لا تروق فی أعینهم مهابة الملوك و السلاطین و جلالتهم و سطوتهم ، لأنهم یعلمون أن الحیاة البلاطیة و متطلبا تها لا تتواطأ مع الحیاة الروحانیة ، و قد اختفت فی هذا مصالح کثیرة لسالکی الطریقة لأجل تعمیر سیرتهم۔ کان الشیخ فرید الدین رحمه اللّٰه تعالٰی یقول: إن أردتم الوصول إلی درجة الشیوخ و نیل مکانتهم فاحذروا السلاطین و اعتزلوهم۔(۳۱) إن سلطان المشایخ رحمه اللّٰه تعالٰی کان مستفیضا من مشرب الشیخ فرید الدین علیه الرحمةو أمینا علی تقالید الزاویة الجشتیة و مُثُلها،فلذا تمسك بهذا القول الفریدی و عض علیه و لم یکترث بمهابة سلاطین عصره و شوکتهم ، و کلما تمنی أحد منهم اللقاء بالشیخ أبی۔ من ثمّ کان یخاصمه و یعادیه بعض الأ ثریاء و الملوك۔

فی عهد السلطان غیاث الدین اشتکی إلیه مخالفوا السماع أن الشیخ نظام

الدین رحمه اللّٰه تعالٰی یسمع القوالی (السماع) مع أنه حرام فی المذهب الحنفی، و کان الملك لا یعرف الحلال من الحرام ، فسخط علیه و أمر أن یدعی الشیخ والعلماء و لیعقد المناظرة، وصل الشیخ رحمه اللّٰه تعالٰی لی بلاط الملك فی الوقت المحدد، و کان هناك کثیر من العلماء الکبار۔[۳۲] فقال له الشیخ حسام الدین بجهامة و مرارة: یکون فی ناديکم السماع و أنتم ترقصون و تصرخون و تهتفون۔۔۔۔ قال الشیخ رحمه اللّٰه تعالٰی: أخبرنی عن السماع، ما هو؟ قال حسام الدین: لا أعرفه و لکن العلماء یحرمونه ۔ فی أثناء ذلك جاء المولٰی علیم الدین حفید الشیخ بهاء الدین زکریا الملتانی رحمهما اللّٰه تعالٰی ، فسأله الملك عن السماع أ حلال هو أم حرام؟۔۔۔۔قال المولی علیم الدین: إن الذین یسمعونه بالقلوب یباح لهم و هوحرام لمن یستمع بالنفس ۔ وقال إنی کتبت عن هذا رسالة سمیتها بالمقصدة۔ و قال المولٰی أیضًا عند ما سأله الملك: مشایخ بغداد و الروم و الشام یسمعونه بلا نکیر۔[۳۳]

آداب السماع و شرائطه

یحتاج الإنسان إلی قواعد و آداب عدیدة للقیام بمشاغل حیاته الیومیة فی جمیع نواحیها۔ أینما کان و بأی شعب الحیاة یتعلق ، لا بد له من مراعاة هذه الأصول و القواعد ۔ و برعایتها ینشأ الحسن و البهجة فی الأمور و یتیقن نیل المرام و حصوله ، و بضد ذلك إن لم تراع الأصول کانت الأمور و الأفعال کلها فی الغوایة والضلال و تکون الحیاة هدفا للتشعب و الانحلال۔

من آداب السماع أنه إن قام أحد من أهل النادی لأجل الوجد الصادق أو بقصد إظهار الوجد فلیقم جمیعهم لیتواطئوا معه۔ قد انعقدت الحفلة فی الیوم الثالث من وفاة الشیخ بدر الدین السمرقندی رحمه اللّٰه تعالٰی، و حضر فیها سلطان المشایخ رحمه اللّٰه تعالٰی ، و لکن جلس فی حظیرة أخری بسبب التأخیر ، فلما قام أهل النادی فی خلال السماع ۔ قام الشیخ أیضًا، قال الناس : أنت علی بعد من المجلس فما کان یلزم علیك أن تقوم ، فأجاب الشیخ رحمه اللّٰه تعالٰی بان الموافقة شرط فی المجلس۔ و قد قرب إلی الشرع جدا زاویة نظر سلطان المشایخ رحمه الله فی اٰخر عمره عن السماع لا سیما السماع بالمزامیر۔[۳۴]

فی "سیر الأولیاء" أن سلطان المشایخ رحمه اللّٰه تعالٰی کان یقول عن اٰداب السماع :

"ینبغی أن تتیسر أمور عدیدة للسماع :
أحدها أن یکون الوقت طیبا هنیئًا ، یفرغ فیه القلب و یطمئن و لا یتردد ولا یتذبذب۔ثانیها أن یکون المکان جمیلًا أخاذا تنشأ الراحة برؤیته ۔ثالثها أن یکون أهل النادی متجانسین متواطئین فی الاعتقاد ، أی لا یحضر هناك إلا أهل السماع ،و الذین یعتقدون أنه جائز،و من جلس فی الحفلة فعلیه أن یتعطر و یلبس الملابس الطاهرة الزاکیة۔"(۳۵)

یقول خواجه غلام فرید رحمه اللّٰه تعالٰی عن السماع:

"السماع الزائف الخاطئ الذی تحتوی علی المنکرات الشرعیة ضارّ ، الأستماع لی الأغانی من المرأة منکر شرعی و سماع خاطئ ، و الاستماع من المُرد (الأحد ا ث) سماع زائف ۔۔۔ سماع المشایخ یکون منزها عن هذه الأمور کلها۔ إنما یکون سماعهم ابتغاء لمرضاة اللّٰه تعالٰی ، محتویا علی حمد اللّٰه تعالٰی و مدح رسوله صلی الله تعالی علیه وسلم و ثناء أحبائه۔کان الإنسان سعیدًا أو شقیًا ، بمثل هذا السماع یتصاعد حبه باللّٰه تعالٰی و رسوله الأعلی، و یتزاید قربه من الحق۔"(۳۶)

بالسماع تروی قلوب سالکی الطریقة وإنهم یتدربون للاستقامة علی طریق السلوك۔ إن رجال التعلیم و خبراء النفسیات أوجبوا الوقت المناسب و المکان اللائق و البیئة الرائقة للتعلم المؤثر ، کذلك لا بد للسماع من الوقت المناسب و المکان الجید و البیئة الرائقة ، بدون هذه اللوازم لا یؤثر التعلیم ، کذا السماع اذا کان بمعزل من هذه الأمور یکون خالیًا و منعزلا عن النشوة والطرب۔

قد ثبت فی ضوء أقوال الأولیاء الکبار رحمهم اللّٰه تعالٰی أن السماع لا یقبل و لا یحل إلا إذا لو حظت فیه الأصول الأتیة و الأداب التالیة:

- ☆ لا یکون القوال حدیث السن ، بل رجلا کاملا لأنه یلتزم آداب السماع و یفهم مراد الکلام۔
- ☆ لا یحضر ثَمَّ الأحداث و النسوة۔
- ☆ الکلام الّذی یقرأ و یغنی فی السماع لا یکون مخالفًا للشرع المطهر و لا محتویا علی الکلمات و التخیلات الفاحشة ، بل یکون غرض الکلام و بغیته نشر التعلیمات الإسلامیة و إذاعة التوحید ، و لیؤثر الکلام فی قلب السامع و ذهنه و یحدث التطور و التقلب فی أفکاره و تخیلاته ، و لیکن الکلام طرازا للعشق الحقیقی ۔

☆ لا بد للمتمتع بالسماع من أن يكون منهمكا فی ذكرى اللّٰه تعالٰی خلال السماع و يحمل الأوصاف المذكورة فی الكلام على حمد اللّٰه تعالٰی أو مدح رسوله صلى اللّٰه عليه وسلم او وصف مرشده۔

☆ لا تكون المزامير و معازف من القيشارة و الطنبور و الطبول۔

☆ تعقد حفلة السماع فی وقت ملائم، لا فی وقت الصلٰوة حتى تلهيهم عن القيام بالفرائض و أدائها و كذا لا تكون فی الليلة و لا فی وقت يخل عن دعة الناس و طمأنينتهم۔

☆ لا يسمع إلا فی وقت تجرد القلب و انطلاقه من الكابة و اضطراب الفكر و القلق، فإن السماع لا يؤثر فی القلب فقط ، بل تنزل الأنوار على القلب خلال السماع فلا بد من أن يكون القلب سالما و بريئا من الهموم و الغموم ، و إلا فلا يحصل من السماع إلا الضرة و الخسران۔

☆ يكون محل السامع و موضعه نقيا نظيفًا نزيها حتى تطيب نفس الناظرين۔

☆ يجب أن يكون كل واحد من الحاضرين حَسن الاعتقاد قائلا بجواز السماع لا منكر السماع، و إن حضر هناك سيئ الاعتقاد كان السماع مجردا من التأثير۔

☆ إن طرأ الوجد على أحد خلال السماع و قام فليتواطأ و ليقم معه جميع المستمعين۔

☆ لا يحضر فی الحفلة إلا بعد لبس الملبس الطاهر النقی، و يكون طاهرًا متوضيا بالإضافة إلى مس الطيب و التعطر، يستفيض و يستفيد من السماع حقيقة۔

إنما يصلح و يحسن السماع المتصف و المتحلى بهذه الأداب ، والسماع المنعقد بهذا المحك باعث طمأنينة القلب و الروح لطلاب طريق السلوك۔

إن تفحص و تفقد السماع الرائج فی العصر الحاضر و العادات و التقاليد الداخلة فيه،و نقد بمقياس الاداب و الشرائط الّتی حددها الأولياء الكرام، فالحق أن هذا السماع ضد ذلك السماع الحقيقی ، وليس فی زماننا هذا محك و مقياس للكلام والقوال و سنه و لا للزمان و المكان و صفاء القلب ولا للمستمعين ۔۔۔ والأسف كل الأسف أن الكلام الذی يقرأ و يلحن فی السماع العصری يكون على طراز أغنية من الأغانی فلم يتميز السماع من الأغانی فی عصرنا هذا۔

الھوامش

۱۔ ان الفارابی صنف "کتاب الموسیقی الکبیر" و کان عالما کبیرا لھذا الفن۔ فی یوم من الأیام زمرمزمارا فی حفلة خلیفة عصرہ الصاحب بن عباد، فضحك أھل النادی أولا، ثم بکوا، ثم أصیبوا بإغماء ة۔(أنظر للتفصیل:اردو دائرہ معارف اسلامیہ بنجاب یونیورستی۱۳۹۵ھ/۱۹۷۵م،طبع الأول، المجلد۱۵، ص۷ إلی۳۷)

۲۔ الکرمانی،سیّد محمد بن مبارك ،سِیَرُ الاولیاء، المترجم:غلام احمد بریاں،مشتاق بك کارنر،الکریم مارکیت اُردو بازار لاھور۔ س ن ، ص۶۶۶

۳۔ فوائد الفؤاد(ملفوظات حضرت خواجہ نظام ا لدّین اولیاء رحمة الله علیه)، المؤلف: امیر حسن علاء سجزی،المترجم: بروفیسر محمد سرور،علماء اکیدمی اوقاف بنجاب لاھور،۱۹۸۰ء/۱۴۰۰ھ،ص۱۵۴

۴۔ التمیمی،محمدجھانکیر ،دکتور، جنوبی ایشیاء میں دین،فقر اورسماع،سنتر برائے ساؤتھ ایشین ستدیز ، بنجاب یونیورستی لاھور،فروری۲۰۰۵ء،ص۲۳

۵۔ السندی ،عبدالمجید میمن ،دکتور،پاکستان میں صوفیانه تحریکیں،سنگِ میل ببلیکیشنز لاھور،۲۰۰۰ء،ص۲۲۷۔

۶۔ محمد إکرام ،شیخ، آبِ کوثر،ادارہ ثقافتِ اسلامیہؒ کلب رود، لاھور،۱۹۸۴ء،ص۲۱۳

۷۔ فوائد الفؤاد،ص ۲۹۳

۸۔ سِیَرُ الأولیاء،ص۶۵۷

۹۔ سورة الأعراف:۱۷۲

۱۰۔ سِیَرُ الأولیاء،ص۶۶۶

۱۱۔ المحدث الدھلوی، عبدالحق،شیخ، اخبار الأخیار، المترجم:مولنا سبحان محمود و مولنا محمد فاضل، مدینه پبلشنك کمبنی، بند رود کراتشی، ص۱۲۶۔۱۲۷

۱۲۔ الھجویری، سیّد علی بن عثمان علیه الرحمة، کشف المحجوب،المترجم: ابوالحسنات السیّد محمد أحمد القادری،مرکز معارفِ اولیاء دربار حضرت داتا کنج بخش رحمۃ اللہ علیہ ، محکمه اوقاف و مذھبی امور بنجاب لاھور،جنوری۲۰۱۲ء،ص۶۱۶

۱۳۔ فوائد الفؤاد،،ص ۱۵۴

۱۴۔ سِیَرُ الأولیاء،ص۶۶۶

۱۵۔ فوائد الفؤاد،ص۴۵۶

۱۶۔ الھجویریؒ، کشف المحجوب ،ص۹۱۶

۱۷۔ فوائد الفؤاد،ص ۲۱۳

۱۸۔ فوائد الفؤاد،ص ۲۱۴/سِیَرُ الأولیاء، ص۶۶۱

۱۹۔ سورہ الزمر:۳

۲۰۔ سورہ الطٰہٰ:۳۹

۲۱۔ سِیَرُ الأولیاء۔ص۶۶۱

۲۲۔ سِیَرُ الأولیاء۔ص۶۶۲

۲۳۔ فوائد الفؤاد۔ص۱۰۱

۲۴۔ القشیری،هوازن،عبدالکریم ،ابوالقاسم، رساله القشیریه،ج۲ص۴۶،الناشر: عبدالوکیل الدروبی و یاسین عرفه،جامع الدرویشیه،دمشق۔
۲۵۔ رساله القشیریه،المترجم مفتی محمد صدیق هزاروی،مکتبه اعلی حضرت،دربار مارکیت لاهور،ص۵۸۰
۲۶۔ الجیلا نی،السیّد عبدالقادر ،غنیة الطا لبین، مولنا عبدالکریم الجلالی،مکتبه أشرفیه رائیوند،ص۵۳۸
۲۷۔ الطوسی،أبی نصر عبدالله بن علی السراج، اللمع فی تاریخ التصوف الاسلامی، مترجم:شاه محمد الجشتی، اداره بیغام القرآن اُردو بازار لاهور، ابریل ۲۰۰۸ء،ص۳۲۰
۲۸۔ سِیَرُ الأولیاء، ص۶۶۵
۲۹۔ تمیمی، جنوبی ایشیاء میں دین فقر اورسما ع، ص۲۳۔۲۴
۳۰۔ سِیَرُ الأولیاء، ص:۶۷۰۔۶۷۱
۳۱۔ خلیق أحمدالنظامی ،محبوب ِ الٰهی،عظیم ایند سنز ، الکریم مارکیت اُردو بازار لاهور،۲۰۰۲ء،ص۲۰
۳۲۔ قال صاحب سِیَرُالعارفین إن السلطان غیاث الدین عقد هذه الحفلة فی حصن تغلق آباد، و قد حضرهناك مائتان و ثلثة و خمسون عالما، وکان کل واحد منهم فألقا فاقد المثال ولهم خلاف مع الشیخ و أصحابه رحمهم الله تعالی فی مسئلة السما ع۔(سیر العارفین،حامد بن فضل الله جمالی ، المترجم محمد أیوب قادری، مرکزی اُردو بورد لاهور، ابریل۱۹۷۶ء،ص۱۲۰
۳۳۔ أنظر للتفصیل:سِیَرُ الاولیاء،ص۶۹۷تا۷۰۱
۳۴۔ محمد إکرام ،شیخ،آبِ کوثر، ص۲۴۰،۴۱
۳۵۔ سِیَرالأولیاء،ص۶۵۸
۳۶۔ مقا بیس ا لمجا لس(ملفوظات حضرت خواجه غلام فرید رحمۃ اللہ علیہ ،المؤلف مولانا رکن الدین،المترجم: کبتان واحد بخش سیال،اسلامك بُك فاؤندیشن،۲۴۹این سمن آباد لاهور،س ن، ص۱۳۵